



الكرسي الرسولي

صلاة التبشير الملائكي

لقداسة البابا فرنسيس

يوم الإثنين، 08 ديسمبر / كانون أول 2014

بساحة القديس بطرس

عيد سيدة الحبل بلا دنس

[Multimedia]

أيها الأخوة والأخوات الأعزاء، صباح الخير، وعيد سعيد!

إن الرسالة التي يحملها اليوم عيد العذراء مريم سيدة الحبل بلا دنس يمكن أن تتلخّص بهذه الكلمات: كل شيء هو عطية مجانية من الله، كل شيء هو نعمة، كل شيء هو عطية محبته من أجلنا. لقد سمّى الملاك مريم "يا ممتلئة نعمة" (لو 1، 28): لم يكن في داخلها مكاناً للخطيئة لأن الله قد اختارها منذ الأزل أمّا ليسوع وحفظها من الخطيئة الأصلية. وقد أجابت مريم على هذه النعمة واستسلمت وقالت للملاك: "قَلِيكُنْ لِي يَحَسَبِ قَوْلُكَ" (آية 38). فهي لم تقل: "سأفعل أنا بحسب قولك"، لا، وإنما قالت: "لِيَكُنْ لِي..."، فصار الكلمة جسداً في حشاها. ونحن أيضاً يُطلب منا أن نصغي إلى الله الذي يكلمنا ونقبل مشيئته؛ فبحسب منطق الإنجيل ما من شيء أكثر فعالية وخصوصية من الإصغاء لكلمة الرب وقبولها!

يظهر لنا موقف مريم ابنة الناصرة أن الكينونة تأتي قبل الفعل، وأنه ينبغي علينا أن نسمح لله بأن يعمل فينا لنكون كما يريدنا. فالله هو الذي يصنع بنا عجائب. لقد كانت مريم فاعلة وليست فقط مستقبلة. فكما على المستوى الجسدي قد قبلت قوة الروح القدس ثم بعد ذلك أعطت هي الجسد والدم لابن الله الذي تكوّن في أحشائها، كذلك على المستوى الروحي فقد قبلت النعمة وأجابت عليها بالإيمان، ولذلك يؤكد القديس أوغسطينس بأن العذراء "قد حبلت أولاً في قلبها ومن ثم في حشاها" (حديث، رقم 215، 4). فقد حملت أولاً بالإيمان ثم بالرب. إن سرّ قبول النعمة هذا، الذي كان في مريم بفضل امتياز فريد، وهو غياب الخطيئة، قد أصبح إمكانية للجميع. في الواقع، يفتح القديس بولس رسالته إلى أهل أفسس بكلمات التسييح هذه: "تَبَارَكَ اللَّهُ أَبُو رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. فَقَدْ بَارَكَنَا كُلَّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ فِي الْمَسِيحِ" (1، 3). وكما هتفت أليصابات عندما سلّمت على مريم: "مباركة أنت في النساء" (لو 1، 42)، هكذا نحن أيضاً قد "باركنا الله" منذ الأزل، أي أحبنا ولذلك "اخترنا فيه قَبْلَ إِنشَاءِ الْعَالَمِ لَنَكُونَ فِي نَظَرِهِ قَدِيسِينَ يَلَا عَيْبٍ فِي الْمَحَبَّةِ" (أف 1، 4). فمريم قد حَفِظَتْ أما نحن فقد خَلَصْنَا بفضل المعمودية والإيمان، وجميعنا، معها أيضاً، قد خَلَصْنَا بواسطة المسيح "بمجد نعمته" (أف 1، 6)، تلك النعمة التي امتلأت بها مريم العذراء.

إزاء المحبة والرحمة والنعمة الإلهية التي أفيضت في قلوبنا، تكون النتيجة واحدة: وهي المجانية. فلا أحد منا يستطيع

2
شراء الخلاص! فالخلاص هو عطية مجانية من الرب، من الله الذي يأتي إلينا ويقين بيننا. وكما نلنا مجاناً هكذا أيضاً نحن مدعوون لنعطى مجاناً (را. مت 10، 8)؛ على مثال مريم، التي وبعد أن قبلت بشارة الملاك انطلقت لتشارك نعمة الخصوبة مع نسيبتها أليصابات. لماذا؟ لأنه ينبغي علينا أن نعطى مجدداً كل ما قد أُعطي لنا. وبأية طريقة؟ بالسماح للروح القدس بأن يجعل منا عطية للآخرين؛ فالروح هو عطية لنا ونحن بفضل قوته يجب علينا أن نسير عطية من أجل الآخرين وأن نسمح للروح القدس أن يجعلنا نصبح أدوات قبول ومصالحة وغفران، لأن نعمة الله تحولنا. فإن سمحنا لنعمة الرب بأن تغيّر حياتنا فلن يمكننا أن نحتفظ لأنفسنا بالنور الذي تناله من وجهه وبالتالي ينبغي علينا أن نسمح لهذا النور أن يمرّ من خلالنا ليضيء على الآخرين. لتعلّم من مريم التي كانت تحقق باستمرار إلى الابن فأصبح وجهها "يشبه وجه المسيح" (دانتى، الفردوس، 32، 87). ولنتوجه الآن إليها بالصلاة التي تذكرنا ببشارة الملاك.

ثم صلاة التبشير الملائكي

عصر اليوم، سأذهب إلى كاتدرائية العذراء العظمى للصلاة أمام أيقونة "العذراء خلاص روما" ثم إلى ساحة إسبانيا في روما للصلاة عند أقدام تمثال العذراء سلطانة الحبل بلا دنس. سيكون وقتاً مكرساً للعذراء. أسألكم أن تتحدوا معي في هذا الحج الذي يشكل فعل عبادة بنوّة لأمننا السماوية.

أتمنى لكم عيداً سعيداً ومسيرة موفقة في زمن المجيء برفقة العذراء مريم، ولا تنسوا أن تصلّوا من أجلي!

©جميع الحقوق محفوظة – حاضرة الفاتيكان 2014